

الشباب العربي والاغتراب الثقافي

دراسة في العلاقة والتأثير

Arab youth and cultural alienation

A study in relationship and Impact

مصطفى جمال بن طيفور

¹ جامعة الملك عبد العزيز (السعودية)

mt@kau.edu.sa

تاريخ الاستلام: 2024/05/30 تاريخ القبول: 2024/06/02 تاريخ النشر: 2024/06/07

ملخص:

يعتبر الشباب رأس المال المجتمعات لما تمثله مرحلة الشباب من مواصفات يمكن الاعتماد عليها في التنمية المحلية وزيادة الإنتاجية، هذا واختلف الخبراء والمختصين في تحديد هذا المفهوم كل حسب تخصصه وبيئته، وتباين الخلفية الاجتماعية والثقافية والاقتصادية للمصطلح، نظرا لأنه تعرض للعديد من التحولات، وما يصاحبه هذا التحول من انعكاسات على مستوى القيم والسلوكيات نتيجة مزاحمته للعديد من الفضاءات لعل الفضاءات الإلكترونية أبرزها. تحاول هذه الدراسة الربط بين متغير الشباب وتعرضهم للفضاءات السيبرانية من مواقع ووسائط تواصل وغيرها، وانعكاس ذلك التعرض والاستخدام على ثقافتهم ونمط تفكيرهم، ورصد مظاهر الاغتراب لديهم. الكلمات المفتاحية: الشباب، الاغتراب الثقافي،، وسائط التواصل، الانترنت

Abstract:

Youth are considered the capital of societies because of the characteristics that the youth stage represents that can be relied upon in local development and increased productivity. Experts and specialists differed in defining this concept, each according to their specialization and environment, and the social, cultural and economic background of the term varied, given that it has been subjected to many transformations, and what accompanies this. The shift has implications at the level of values and behaviors as a result of its competition with many spaces, perhaps the most prominent of which is electronic spaces

This study attempts to link the variable of youth and their exposure to cyberspaces, such as websites, media, etc., and the reflection of that exposure and use on their cultures and style of thinking, and to monitor the manifestations of their alienation.

.Keywords: youth, cultural alienation, communication media, the Internet

مصطفى جمال بن طيفور

1- مقدمة:

إن موضوع دراسة الشباب و مشكلاتهم ذو أهمية كبيرة، حيث إنه يشغل بال الكثيرين من الكتاب و المفكرين و الباحثين علماء الاجتماع و النفس و السياسيين و غيرهم، نظرا لما يمثلونه من رأس مال بشري ثابت، إضافة إلى تحدياتهم و آمالهم العريضة في كل المجتمعات.

الشباب العربي والاعترا ب الثقافى -دراسة فى العلاقة والتأثر-

ولعل هناك صعوبة تبرز عند التفكير فى تحديد واضح ودقيق لمفهوم الشباب، و التقسيمات الخاصة به، فهذا الأخير يمثل قطاعا أفقيا فى القطاعات الرأسية التى يتكون منها البنيان السكانى للمجتمع، كما أنه يعتبر جسرا للعبور بين مرحلة الطفولة و مرحلة الكبار، و يعتبر الشباب بنية أساسية من بنى المجتمع الأساسية، تتفاعل معه بصورة ديناميكية تبادلية فى تأثير به، وتؤثر فيه، بما تحقق فى النهاية بقاء المجتمع و استقراره، قد يتميز ببعض الخصائص عن باقى الفئات المجتمع الأخرى، إلا أنه يشترك معها فى كثير من الصفات طبقا لظروف و أوضاع كل مجتمع.

لقد نشأ الشباب اليوم فى عصر تعرضت فيه المجتمعات المحافظة للتغيرات العالمية فى ظل الحضارة المعاصرة و التقدم العلمى و التكنولوجى الذى يميز أنماط الحياة ووسائلها ومتطلباتها، فوقع الشباب فريسة الانفصام فى الشخصية و الصراع بين القيم الموروثة و التقاليد المستوردة، مما أصابهم بالحيرة و القلق و التيه فى الكثير من الأحيان، مما قد ينعكس على أنماطهم السلوكية و اتجاهاتهم و ميولاتهم و آرائهم اتجاه بعض الأحداث و القضايا بل و المواقف الأسرية، تحاول هذه الدراسة الربط بين متغيرى الشباب و الثقافة الالكترونية الجديدة التى أصبحت مواقع التواصل الاجتماعى فضاء لها، فضاء تذوب فيه كل الثقافات و الحدود الجغرافية، مشكلة مواطنة جديدة "مواطنة رقمية".

2- مفهوم الشباب و الاهتمام العلمى لدراسته :

أ- فى تحديد دلالة مفهوم الشباب:

المفهوم اللغوي:

الشباب هو "جمع مذكر ومؤنث معا، وتعني الفتاة و الحداثة، ويطلق لفظ شبان و شببية، وشواب كجمع لكلمة شابة، وأصل كلمة شباب شب ، أي صار فتيا، أي من أدرك سن البلوغ إلى سن الكهولة و شباب الشيء أوله". (أنيس، 2004)
قاموس Oxford " أدرج تعريفا خاصا به وأشار أنه يحتمل معنيين Young و Youth. أي المرحلة التي تمتد من الطفولة إلى أن يبلغ الشاب سن 18 سنة تقريبا". (Pocket, 2008)

و قد اختلفت التعريفات و تباينت فيما بينها عن مفهوم الشباب نتيجة لما تتبناه من اتجاهات نظرية مختلفة، نذكر على سبيل المثال التعريفات التالية التي يحدد فيها مفهوم الشباب حسب زوايا مختلفة :

بيولوجيا: عادة ما يتم النظر إلى مرحلة الشباب على أنها المرحلة التي تكتمل فيها المؤشرات الفيسيولوجية لهذه المرحلة من حيث مثلا الوزن، الطول، وباقي الأعضاء بالإضافة إلى النضج العقلي ولهذا فيذهب الأغلبية إلى اختيار السن ما بين 18 إلى غاية 30 سنة بحيث تكتمل فيه مرحلة البلوغ البيولوجي والعقلي معا، بينما البعض الآخر قد يرجعه لنمو جنسي بحيث يصبح الطفل بالغا.

نفسيا واجتماعيا: عادة ما تسمى في بعض المراجع بمرحلة المراهقة، والتي عادة ما في مجتمعنا الجزائري نرجع لها ونبرر بها الكثير من التغيرات التي تحدث على الشباب من قيم وسلوكيات سواء كانت اجتماعية أو نفسية، وفي بعض الأحيان قد يتم استخدام هذا المصطلح لتغطية سلوكيات طائشة كالعنف، والانحراف والجريمة تحت لواء هذا المصطلح "المراهقة".

علماء الاجتماع يرون هذه الفئة العمرية أنها " تلك المرحلة التي يصبح فيها الشاب مكتمل العناصر البيولوجية ووصل فيها إلى مرحلة من النضج الذي يؤهله ليكون قادرا

الشباب العربي والاعترا ب الثقافى -دراسة فى العلاقة والتأثر-

على العطاء وتحمل مسؤولياته الاجتماعية، لىبدأ حينها فى أداء دوره مجتمعى". (فهى، 1998)

هذا و تختلف آراء من يأخذون بالمعيار الزمنى للشباب، "فمنهم من يرى تقسيم فترة الشباب إلى مرحلتين: مرحلة الشباب الأولى أو مرحلة الفتوة، وتمتد من بداية الحلم حتى سن الرشد الذى يحدده القانون المبنى بسن 18 سنة، و التى يتحمل فيها الفرد مسؤولياته المدنية، أما المرحلة الثانية فهى مرحلة الرشد وتمتد من سن 18 سنة إلى غاية ثلاثين سنة". (جلال، 1996)

وهناك من يرى أن مرحلة الشباب تحدد ما بين فترة 15 إلى غاية 30 سنة، من حبث ملامتها لخصائص النمو والقدرة على التعلم والإنتاج ورغبتها فى إحداث التغيير والتطورات فى المجتمع.

ب- لماذا الاهتمام بدراسة الشباب ؟

أبدت العلوم الإنسانية والاجتماعية اهتماما بالغا بدراسة هذه المرحلة العمرية، وهذا الاهتمام ليس محليا فقط بل يكاد يكون عالميا من خلال التركيز على أوضاع الشباب، واتجاهاتهم وأدوارهم فى المجتمعات والمسؤوليات المنوطة بهم، مع اختلاف هذا الاهتمام حسب اختلاف المجتمعات والإطار والخلفية التى تفسر من خلالها نتائج الدراسات بالإضافة إلى السياقات التى تعالج فيها إن كانت سياقات سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وغيرها.

فالشباب هو صمام أمان بقاء المجتمعات وتطورها، ويمثل حاضر الأمم ومستقبلها هذا إن استثمر بحكمة وأعد بفطنة ووجه التوجيه الطيب أفلح و أنتج و حقق الأمل المعقود عليه.

و يشكل التفكير فى الشباب و مشكلاته و حاجياته أو أزماته، والعمل على إيجاد الميكانيزمات المناسبة للتوجيه نفسيا واجتماعيا ، مجهودات فكرية موجودة فى فكر الفلاسفة منذ عهد سقراط والأدباء وعلماء النفس والتربية والساسة والمصلحون

مصطفى جمال بن طيفور

الاجتماعيون ورجال الإعلام، الأمر الذي يعكس الاهتمام الجدي بهذه الشريحة المجتمعية عبر المراحل التاريخية التي مرت بها البشرية، ولكن لم يسجل التاريخ لنا عصرا من العصور زاد فيه الاهتمام بالشباب في أي بلد من بلدان العالم مثل عصرنا الحالي، إذ تفيض حاليا الصحف والمجلات العلمية و لحوليات والكتب بتناول الشباب بالدراسة والتحليل.

" فأصبح للشباب في كثير من الدول دوره السياسي الفعال وتنبئ الدراسات بأن أهمية الشباب الحالية سوف تزداد في المستقبل، و بينما نجد البالغين مرغمين على إيجاد التوافق بين أنفسهم والعالم الذي يتغير من حولهم تغيرا سريعا، نجد أن الشباب يمتاز بأنه ليس في حاجة إلى ذلك لأنهم يسايرون العالم المتغير في نموهم دون إدراك للجديد". (سيد، 2007)

ولعل هذا السبب الأساسي لمثل هذا الاهتمام العالمي بقضايا الشباب، يرجع إلى ما يمثله الشباب من قوة في المجتمع ككل، فهو يعد متميزا إذا ما نظرنا إليه في ضوء بنية المجتمع.

حتى وإن كان قد حصل الاتفاق على أهمية الشباب، " إلا أن الشباب بجمهوره العريض وفي مختلف المجتمعات العربية ما فتئ في العديد من المناسبات وعبر قنوات الاتصال المتنوعة أن يعبر عند عدم رضاه عن أنماط التعامل معه، و يجهر بالقول أنه كم مهممل أو طاقة سائبة أو قدرات ضائعة". (المؤلفين، 2001)

3-خصائص الشباب وسماتهم:

خصائص الشباب كثيرو ومتعددة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ماييلي:

- تتميز مرحلة الشباب بالتوتر والقلق وما يصاحبها من مشاكل، فبعد فترة طفولة تميزها الهدوء تبدأ هذه المرحلة بالانفعالات وكثرة القلق وكثير من السلوكيات التي يصعب

الشباب العربي والاعتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

تفسيرها وتحليلها ، بالإضافة إلى ظهور مرحلة تمرد للفرد على أهله ومجتمعه في محاولة لإثبات ذاته وأنه مستقل ولا يتلقى الأوامر من أحد.

- رغبة الشاب في التغيير المستمر. وتجديد كل ما من حوله من مواقف، وبحثه على الجديد من الأفكار والخبرات، مما يجعل هذه المرحلة حساسة جدا يجب التعامل معها بكثير من الوعي لاستغلال هذا التغيير على أحسن وجه.

وما تتميز هذه المرحلة من سرعة في النمو(في الطول، الوزن، اضطرابات هرمونية)، فتبدأ الملامح تتغير ليأخذ الجسم شكلا جديدا، هذه الأخيرة يمكن أن تؤثر بطريقة أو بأخرى على شخصية المراهق الذي كثير منهم لا يعرف كيف يتصرف مع هذا الشكل الجديد ومنهم من لا يتصالح مع ذاته بل لا يتقبل هذه التغيرات وهذا ما يبرره توجه العديد من الشباب اليوم لتغييرات في الموضة وتسريحات الشعر وصبغات جديدة ليحقق نوعا من الرضى على شكله الجسماني.

- النمو الجسمي: وما تتميز هذه المرحلة من سرعة في النمو(في الطول، الوزن، اضطرابات هرمونية)، فتبدأ الملامح تتغير ليأخذ الجسم شكلا جديدا، هذه الأخيرة يمكن أن تؤثر بطريقة أو بأخرى على شخصية المراهق الذي كثير منهم لا يعرف كيف يتصرف مع هذا الشكل الجديد ومنهم من لا يتصالح مع ذاته بل لا يتقبل هذه التغيرات وهذا ما يبرره توجه العديد من الشباب اليوم لتغييرات في الموضة وتسريحات الشعر وصبغات جديدة ليحقق نوعا من الرضى على شكله الجسماني.

- اكتساب المهارات العقلية: في هذه المرحلة تتوجه قدرات الشباب العقلية لأن تكتمل شيئا فشيئا، وتبدأ مع هذه المرحلة ظهور بعض الهوايات لدى الشباب وميولات لم تكن ملاحظة من قبل، فتبدأ الأسرة في اكتشاف مواهبه الرياضية والثقافية والعلمية وغيرها، وتبدأ بعض المعالم تتقوى كالانتباه والقدرة على الخيال و التذكر وربطه للأشياء على الأحداث التي تحدث في مجتمعه والعلاقات الجديدة بين الموضوعات.

- نقص المعلومات و الخبرات: حيث يساهم المجتمع في وضع ضغوطات كثيرة على الشباب، ويفشل في تزويدهم بالأساليب والوسائل اللازمة لمواجهة هذه الضغوط، كما يرفض الشباب الاستعانة بخبرات الأكبر سنا محاولة منه لتأكيد ذاته وتكوين شخصيته مما يجعله يفشل في الكثير من التجارب نتيجة نقص المعلومات والخبرات، ويضاف إلى ذلك زيادة لوم ونقد الأكبر سنا لهم بدلا من مد يد العون والمساعدة. (فهيم م.)

وبشير " خليل معوض " إلى أن هذه الظاهرة لا يمكن أن ترجع إلى سبب واحد، لأنه فيها أمور كثيرة متشعبة ومتداخلة في هذا الأمر، منها التحولات النفسية والبيولوجية والقدرات العقلية، بالإضافة إلى عامل مهم وهو علاقة الشباب بمحيطه الاجتماعي الضيق والواسع (العلاقة مع الوالدين، مع الأخوة، مع الأقارب، الجيران ..الخ) بعد هذه الاحتكاك الاجتماعي تبدأ تظهر بوادر لتحكم الشاب في مشاعره والتعبير عليها بشكل صحيح، واختيار السلوك الصحيح مع المواقف الصحيحة". (الغاني، 2010)

- التهور و الانطلاق: حيث يندفع الشاب وراء انفعالاته، بسلوكيات شديدة التهور والسرعة وقد يلوم نفسه بعد أدائها، ويجعل من ذاته رقيبا على سلوكه، ويحسب لنظرة الجماعة ورأيها فيه حسبا يدفعه إلى الحد من كثير من رغباته الجانحة لأنه يراها لا تتوافق و مكانة الشاب النافع، ويدرك الشاب ما للمستوى العلمي من أثر في احتلال المركز الاجتماعي المرموق في البيئات المتقدمة المتطورة، ولذلك نجد بعض الشباب أكثر حزما في دراسته حيث يدرك أن العلم وسيلة لرفع مستواه المادي والاجتماعي والثقافي، ويدرك الشاب أيضا ما للرخاء الاقتصادي من مكانة اجتماعية، ويتجلى الرخاء الاقتصادي لديه في الملابس و ركوب السيارة و إقامة الأفراح وحضورها، وهو حين يدرك قيمة السلعة الاقتصادية في تحقيق رغباته و طموحه يجتهد لإنماء موارده المالية بطريق آخر، مما تسمح له ظروفه النفسية و الاجتماعية. (بومعيزة، 2006)

- الاهتمام بالمظهر: حيث يهتم الشاب في هذه المرحلة بمظهره و شعبيته و مستقبه وميله للجنس الآخر، و اتساع رقعة علاقاته الاجتماعية. (الشرييني، 2005)

الشباب العربي والاعتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

في ظل هذه المرحلة تظهر بوادر الشاب إلى الاستقلال بشكل تدريجي عن محيطه الاجتماعي والاعتماد على نفسه واتخاذ القرارات بشكل فردي دون حاجته إلى مشوره الأهل والأقرباء، بالإضافة إلى رغبته في تحمل المسؤولية بعد بلوغ أقصى درجات النضج الجسدي والعقلي ، فيتحول بذلك الشاب إلى توسيع علاقاته الاجتماعية، فتزيد اهتماماته بالمحيط الخارجي.

- **النزعة إلى الاستقلال:** في ظل هذه المرحلة تظهر بوادر الشاب إلى الاستقلال بشكل تدريجي عن محيطه الاجتماعي والاعتماد على نفسه واتخاذ القرارات بشكل فردي دون حاجته إلى مشوره الأهل والأقرباء، بالإضافة إلى رغبته في تحمل المسؤولية بعد بلوغ أقصى درجات النضج الجسدي والعقلي ، فيتحول بذلك الشاب إلى توسيع علاقاته الاجتماعية، فتزيد اهتماماته بالمحيط الخارجي.

بروز المشاعر الدينية: تبرز لدى الإنسان لدى دخوله مرحلة الشباب المشاعر الدينية بصورة قوية ، ويتجلى ذلك من خلال حب الشباب للدين، والسعي إلى التعامل مع أمور الدين بكل حزم وجدية ، فالإنسان مفطور على الانتماء إلى الدين، ولكنه قد ينحرف عن تلك الفطرة بفعل عوامل خارجية مؤثرة تدفعه إلى الانحراف. (قطوس، 2003)

- **حب الظهور والشهرة:** حيث يكون لدى الشاب رغبة جامحة في إثبات شخصياتهم، وتوكيد ذواتهم، وأنهم ليسوا أقل من الكبار في إنجاز الأعمال وإدارة المشاريع وتحمل المسؤوليات، لكي يثبت للآخرين أنه إنسان كامل الرجولة. (محمد، 1998)

إذن فالملاحظ بعد عرضنا لمجموعة من خصائص الشباب المذكورة أعفا، مدى أهمية مرحلة الشباب إذ تعتبر من أهم مراحل العمر، فيها يكتسب الشباب مهاراته الإنسانية الواحدة تلو الأخرى، وهي مجموعة المهارات الاجتماعية و البدنية و العقلية والنفسية اللازمة له لتدبير شؤونه وتنظيم علاقاته مع الآخرين .

و الملاحظ أيضا أن مرحلة الشباب وعلى الرغم من قصر مدتها (من عشرة إلى اثنا عشر سنة بالتقريب) إلا أنها ظاهرة نفسية واجتماعية و بيولوجية معقدة، تتميز بحيويتها و

مصطفى جمال بن طيفور

استمراريتها، وتتداخل فيها عدة عوامل داخلية و خارجية، وهنا لابد أن نشير إلى دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، المدرسة والمسجد) و التي تصادف الشباب فور نعومة أظافره، قلت لا بد أن نشير إلى دورها المنوط به في وضع اللبنة الأولى و القاعدة الأساسية لتربية سليمة بما يضمن تنشئة سليمة لشبابنا، شباب قادر على تحمل مسؤوليته كاملة اتجاه أسرته وبلده واتجاه المجتمع كذلك، وفيما يلي عرض لاحتياجات الشباب ومشكلاته المختلفة.

4- مظاهر التأثير الثقافي للإنترنت على الشباب.

من المعلوم أن إقبال الشباب على الانترنت أصبح جزءا لا يتجزأ من الحياة اليومية للشباب، حيث أكدت العديد من الدراسات أن معظم مرتادي مقاهي الانترنت في الوطن العربي هم شباب، وأن 80% تقل أعمارهم عن 30 سنة، وقرأت إحصائية أخرى أن ما نسبته 90%، من رواد مقاهي الانترنت في سن خطرة وحرارة جدا. (لعقاب، 2012)

فالإدمان على الانترنت قد يؤدي إلى سلوكيات مضرة، مثل الولوج في المواقع الإباحية والقرصنة وانتحال الشخصيات، والجريمة الالكترونية. وغيرها من التصرفات السلبية التي تخل بقيم وسلوكيات الشباب، كما يمكن أن يؤدي بهم هذا الإدمان إلى الإحساس بالعزلة والانسلاخ الثقافي والحضاري والاجتماعي.

كما أضحت الانترنت تتيح الفرصة للتغيير الاجتماعي والثقافي والتظاهر الحقيقي، فهو عالم افتراضي هام، وإذا لم يجد الشباب في الحياة الواقعية استجابة لمشاكلهم مثل استجابة الانترنت سيحدث الشخ بين الحكومات والشباب وبين المجتمع والشباب.

تعتبر مسألة الغزو الثقافي من أكثر ما يرهق هاجس الباحثين في الوطن العربي، نتيجة توسع الفجوة والهوة و الصراع بين الدول المتقدمة تكنولوجيا والتي تتحكم فيه، وبين الدول المستهلكة لهذه التكنولوجيا بكل روافضها من قيم وسلوكيات دخيلة على أعرافنا وعاداتنا وديننا.

و يمكن أن نعدد أيضا من أسباب الغزو الثقافي الإعلامي في المجالات التالية:

الشباب العربي والاعتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

- محاولة بناء صورة ذهنية خاطئة عن صورة الإسلام والمسلمين من خلال التسويق عبر الأفلام الغربية لصورة على أننا العرب والمسلمين ذوي تطرف وعنف بكل أشكاله.

- العمل على اللعب على حركة التأليف من كتاب ومؤلفين كوادري في المجال، بغرض تشويه السمعة.

- التشجيع على إظهار الاختلافات والتفرقة بين المسلمين من خلال وسائل الإعلام الغربية.

بالإضافة إلى أبرز مظاهر الغزو الثقافي والخفية والذكية ذات هيمنة ناعمة، العمل على محاولة تقليص الحجم الساعي لمواد التربية الإسلامية في المدارس والجامعات العربية، لإضعاف الهوية المرجعية بالإضافة إلى التوسع في الحصول على اعتمادات لمدارس وجامعات أجنبية في بلاد الإسلام ومحاولة التسويق لحجم وتصنيفات هذه الجامعات عالمياً مقارنة مع الموجودة في المجتمعات الأم.

من الواضح أن إستراتيجية الصراع بين الدول المتقدمة والدول النامية قد تغيرت، من إستراتيجية قائمة على الصراع باستخدام القوة العسكرية إلى إستراتيجية التخدير الثقافي باستخدام التكنولوجيا، خاصة إن الدول المتقدمة هي التي تنتج هذه التكنولوجيا، والتي ينتج هو الذي يتحكم، مستخدمة الانترنت التي اخترقت جميع القارات والدول في العالم ممارسة بذلك الهيمنة الثقافية.

"وتشكل الولايات المتحدة الأمريكية القاعدة الأكثر تأثيراً للمشروع الثقافي العالمي الاحتكاري وقدرته التكنولوجية وأدواته الإعلامية المتقدمة، والتي تلعب دوراً حاسماً في نشر وترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجاري، هادفة من ذلك تشويه وتهميش الثقافات المحلية لدول العالم الثالث وإعادة إنتاج البنية المختلفة بكل ما تحتويه من تزييف للوعي وتشجيع المبادرات الفردية القائمة على الأنانية والاستغلال، وانعدام العقلانية وبث الفوضى والبيروقراطية والرشوة والفساد". (كمال، 2005)

ونود أن نفرق بين مواجهة الهيمنة والاختراق الثقافي وبين مجابهة العولمة كواقع عصري فهذه المجابهة لم تعد أمرا ممكنا لا بالنسبة للدول الضعيفة ولا الدول القوية على حد سواء، في حين تحاول الثقافات المختلفة في شتى أنحاء العالم أن توجد الآليات والوسائل التي تمكنها من مواجهة ما يهدد هويتها وخصوصيتها وهذا حق مشروع لها، وتحفل دراسات العولمة بأمثلة عديدة ظهرت وما زالت تظهر دفاعا عن الخصوصيات الثقافية للمجتمعات خلال عمليات التداخل والاحتكاك الثقافي، ونجد من بينها إلى جانب دول العالم الثالث دولا كبرى كفرنسا واليونان و النرويج. (الهواري، 2013)

فتعرض الشباب العربي عامة والجزائري خاصة إلى الغزو الثقافي الأجنبي يقوي انهيار الشباب بكل ما هو صنع أجنبي، وأن ما يتعرضون له عبر الانترنت من موضوعات وأفلام ودعايات تتضح بها الثقافة المادية الغربية، لكن الأخطر الجانب غير المادي من الثقافة الأجنبية والتي تشمل الأفكار والعادات والآراء والمعايير والقيم التي تملي على الشباب ألوانا من السلوك يغرس فيه أعراف وتقاليد استهلاكية يتمسكون بها، وينسبهم في خصوصيات ثقافتهم المحلية.

"إذ يتعرض الشباب العربي إلى غزو أجنبي في كل فرع من فروع الثقافة، التي تنقل مدخلاتها إلى عقولهم فيظهر مفعولها في سلوكهم وأسلوب معيشتهم، ليس في مرحلة الشباب فحسب، بل أيضا في المراحل السابقة عليها.

فملا بسهم وكثير من الأدوات والأجهزة التي يستعملونها في بيوتهم، ووسائل اتصالهم ونقلهم، حتى أداوت كتاباتهم وأجهزة تصويرها وتسجيلها، ذات صنع فرنسي وإيطالي وألماني وغيرها من الدول الأجنبية، فيصبح الشاب منذ نعومة أظافره يعي أنه إذا أراد أن يشتري شيئا مختلفا وجذابا فعليه بماركة وعلامة أجنبية تصنع له التميز والاختلاف بين قرنائهم، حتى إذا بلغوا سن الشباب أصبحوا من التأثر بالغزو الأجنبي المادي بحيث يصيرون دعاة لاستخدام منتجاته، ومع بزوغ الألفية الثالثة انفلت عقد حراسة بوابة أمام الانسياب الثقافي الإعلامي بعد أن استتب الفكر العولمي. والعولمة الثقافية لن تؤدي دورها دون وسائل الإعلام، بل إن هذه الأخيرة أصبحت هي ظل العولمة ومرآتها العاكسة خصوصا بعد تجذر هذه الوسائل واشتداد فعاليتها

الشباب العربي والاغتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

بشكل يتناسب والتقدم التقني في مجالات الصناعات الإعلامية، وفي قمة العطاء التكنولوجي برز موضوع الصراع الثقافي والذي يعبر في أساسه عن تناقضات البيئة الثقافية المستوعبة للشعوب، فكان القائم بالاتصال بفكرة التلازم العضوي ما بين الثقافة والإعلام، بوصف الأولى تشكل تحولاً لموضوعات يطرحها الإعلام في صورة ثقافة أو ثقافة أو اتصال ثقافي التي قد تبدو ولأول وهلة استثمار لوسائل الاتصال الجماهيري في عملية عرض الثقافات وتبادلها. (العابد،

(2010)

ويستفاد من تقنيات الاتصال هذه ويتم تحويلها إلى صناعة ممنهجة لغسل الأدمغة التي ترافق ظهورها مع الانتقال اللامتكافئ من المكتوب إلى المرئي لكي يتحول العالم إلى مجرد مشهد يحق له الظهور وفق رغبات القوى التي تتحكم بالاتصال، الأمر الذي حدا ببعض الباحثين بالقول "إن الإعلام هو العولمة أو الوجه الجديد للاقتصاد المعولم الهادف إلى تسويق الأفكار والتمايز البيولوجي الذي تحاول تأسيسه الثورة التكنولوجية الحالية، لإكمال حلقات التحكم باقتصاد الزمان والمكان في آن واحد بكل ما تشكله من ضغوط على الشعوب وبكل ما تخلفه من إحساس بالحاجة إلى فتح باب التنافس في مجالات التنمية البشرية". (العابد، 2004)

ومعنى ذلك أن ما يسمى بالخصوصية الثقافية من خلال شبكة الانترنت لدى شبابنا لم يعد، في ظل العولمة والشمولية فضاء مستقلاً بذاته بقدر ما أصبح جزءاً لا يتجزأ من سوق عالمي يتحكم فيه منطق رأس المال المتعدد الجنسيات، وتتكسر في عمقه أطروحة الأحادية الثقافية وهو ما تعمل على تمريره باستمرار أمريكا والدول الكبرى وفي هذا السياق يقول "والتر ريستن" المدير السابق لبنك "ستي كورب" "... إن السوق المالي الدولي بن يعود أبداً إلى حدوده الوطنية القديمة.... فالأفكار تتخطى الحدود بطريقة وبسرعة لم يسبق لهما مثيل... وهي هجمة على سيادة سلطة الحكومات". (أجفيم، 2010)

وعلى غرار ما نلاحظه اليوم من تعدد القطبيات في كل المجالات، كقطبية الاقتصاد العالمي مثلاً، نلاحظ نفس القطبية أو تعددها في الميدان الإعلامي والثقافي، فالتلفزة والسينما والكابل والصحافة وبنوك المعلومات تتجمع داخل وحدات أعمال عملاقة تمتلكها حفنة من الشركات،

مصطفى جمال بن طيفور

لا تعير اهتماما كبيرا للتمييز بين عالم الأعمال وأعمال العالم، فهي تمهد وتأسس للعمولة والشمولية، وتعمل ببساطة وفق منطق ومعايير حددتها بنفسها، وعليه ما يجعل تكنولوجيا الإعلام والاتصال في قلب أحد أكبر الرهانات المستقبلية هي أنها مكمّن موارد مالية واقتصادية ضخمة للدول والشركات، بل لأنها أصبحت تشكل أيضا خطرا قويا على الثقافات المتدنية، الخاصة بدول العالم الثالث وحتى ببعض الدول المتقدمة نفسها. (النقري، 2001)

وخطر الغزو الأجنبي على الشباب العربي، يظهر أثره في إصابتهم بنوع من الدونية الفكرية المحبطة، أمام الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية وغير المادية، فيقتنعون بأنهم المغلوبون في عملية الغزو الذي يتغلب فيه الأجانب على أيدٍ عربية مضللة ومضلة والمغلوب مولع دائما بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه وبخلقه وسائر أحواله وعوائده (الساعاتي، 2003) ففي زمن العمولة والشمولية وانتصار القطبية.

أصبح من المسلم به أن ظاهرة الغزو الثقافي لم تندثر ولم تتراجع بقدر ما غيرت ثوبها لتتلاءم وواقع العصر الجديد. والمسلم به أيضا أن الغزو الثقافي المحلي، إنما هو حملة ضد قيم وأنماط وسلوكيات ثبت أنها مناهضة ومناقضة ومنافسة للثقافات المركزية (الغربية)، التي أبانت وكشفت عن حيويتها وديناميتها وإبداعها، فهو إذن وباختصار إيديولوجية تتبنى نظرية البقاء للأقوى، وتؤمن بأن الهدف الأسوى يجب أن يكمن في القضاء على هذه الثقافات والحد من خطورتها وتقويضها كمرحلة أساسية لتطويعها وتدجينها وهذا أمر جوهري ويستدعي البحث والعمل معا. (أجغيم، مرجع سبق ذكره)

و الأمر الذي يجب أن نتنبه له، هو انتقال التبعية إلى الثقافة الأجنبية بعناصرها المادية والمعنوية من الطبقة المثقفة خاصة أساتذة الجامعات إلى طلابهم وخاصة المتفوقين من الطلبة والذين تحرص الجامعة على أن يكونوا خلفا لأساتذتهم بعد بضعة سنوات، فينقلونها بدورهم إلى طلبتهم، وهكذا يتم توريث الانهار بالفكر الأجنبي للشباب العربي عبر الزمن، وتترسخ أساسيات الثقافة الأجنبية في عقولهم، وهذا أقصى ما يتمناه الغرب، إذ يجد ثقافته تترسخ

الشباب العربي والاعتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

وتتوطن على يد شباب الوطن العربي أنفسهم جيلا بعد جيل، مما يجعل نقل هذه الثقافة لا يكلف أعباء مالية، بل فقط شباب تهوروا واستهانوا في التعامل مع مورثاتنا الثقافية.

وفي نفس السياق يضيف المبدع "محمد عابد الجابري" أننا نتعرض لغزو ثقافي رهيب، غزو مخطط له وممنهج من قبل المستعمرات التقليدية، أما وسائل تكريس وترسيخ هذه الهيمنة فهي بلا شك الإعلام الذي يريدون من خلاله صناعة مواطن مغترب ثقافيا وفكريا وعلميا، مواطن لا يعرف وضع الخطوط بين الأنا والآخر.

بمعنى أن المفكر العربي عابد الجابري يرى أن ما تقوم به الدول التي تتحكم برؤوس الأموال من خلال توظيف الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة في عملية الاختراق الثقافية واستعمار العقول يربط المثقفين بدائرة محدودة ينشدون إليها بصورة آلية وهكذا تسود النفعية الجديدة.

فعلى ما يبدو أن الثقافات التي تسهم أو تمتلك الأدوات التكنولوجية هي التي تسيطر على الثقافات الأضعف تكنولوجيا وهي التي تلعب دورا مؤثرا بارزا على نطاق عالمي، والعولمة الثقافية بصورة أكثر دقة ووضوحا هي محاولة تعميم مجتمع أنموذجه الثقافي على المجتمعات الأخرى خلال التأثير على المفاهيم الحضارية والقيم الثقافية بوسائل اقتصادية وثقافية وتقنية متعددة أيضا. (محمود، 2000)

وعلى ما يبدو أيضا أن الغزو الثقافي عبر وسائل الإعلام وشبكات المعلومات والانترنت خاصة أضحى يمارس نوعا من التحكم والضبط لسلوك الأفراد والمجتمعات رغم بعض أشكالها الجذابة ولهذا لم يعد مستغربا أن تمتلك بعض المحطات التلفزيونية الفضائية موارد تفوق ميزانيات بعض الدول النامية أو أن تصل ميزانية فيلم سينمائي إلى مئات الملايين من الدولارات. والملاحظ أن انتشار استخدام الانترنت في أوساط الشباب، قد جعل المواقف تتباين وتختلف حول إيجابياتها أو إذا ما كانت خطرا حقيقيا عليهم، إذ من الباحثين من يراها أداة من أدوات الغزو الثقافي و الاختراق العالمي، ومنهم من اعتبرها أداة من أدوات المعرفة والانفتاح على العالم الآخر، فالفرق الذي يغلب عليه النظرة التشاؤمية من جراء استخدام الانترنت يرى أنها تنطوي على سلبيات عديدة كالهيمنة الثقافية وتشويه الحضارات القائمة، أما الفريق الآخر

فيرى أنها تنطوي على إيجابيات عديدة لدرجة أن البعض أشرف في التفاؤل ذاكرا أنها نعمة من الله وهي ليست ملكا لأحد وأن للجميع حرية الاختيار في الاستخدام في أي مكان وفي أي زمان. والمتخصصين الذين لا يرون إلا الجوانب السلبية للأنترنت غالبا ما ينظرون إلى عمليات التنميط الثقافي وهيمنة الدول المسيطرة على شبكات المعلومات، وما يمكن أن ينتج عن تلك السيطرة المعلوماتية من آثار سلبية على مختلف النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية خاصة.

أما الذين يرون أن للأنترنت إيجابيات أكثر فينظرون إليها في ضوء ما تحمله من جوانب منفتحة للحياة والمجتمع، والاستفادة من خدماتها العلمية والبحثية والاقتصادية والمعرفية. ويذهب الباحث إلى الاتجاه الوسيط بين هذه الاتجاهين فالأنترنت هي سلاح ذو حدين يمكن أن تضر و يمكن أن تنفع، وطبيعة الاستخدام هي التي تحدد ما هو ضار ونافع.

5- خاتمة

مما سبق نستخلص أن الشباب يمثل الركن الحيوي من أركان البناء الاجتماعي، ومن حقه أن يفسح له المجال لأداء أدواره الاجتماعية والسياسية، خاصة في ظل المشاكل العديدة والأزمات المصرية المتعددة التي يعيشها الشباب العربي عموما، والجزائري بالخصوص. وشبابنا العربي في قراءة من حيث الواقع والتحديات حسب هذا الفصل حديث شائك، من خلال واقع أصبح يتعلم فيه سلوكيات وعادات وتقاليد غريبة عن مجتمعاتنا العربية الإسلامية، تحت مبررات الانفتاح عن الآخر. أو التطلع ومواكبة الموضة في اللباس والأكل والجلوس والحوار داخل الأسرة والجامعة، وغيرها من السلوكيات التي توحى لنا أن شبابنا يعيش حالة من الاغتراب من واقعه المعاش، فشبابنا يعيش في العصر الحالي حالة تناقض لا مثيل لها وحالة صراع بين قيمه وأهدافه الخاصة.

كما ظهر لنا جليا من خلال هذا الفصل أن الشباب من أكثر الفئات الاجتماعية تأثرا بنتائج التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية السريعة لما تعرفه فترة الشباب من حساسية للتغيرات التي تحدث في المجتمع، تغيرات قد تحدث تناقض بين القيم واتجاهات الأجيال المختلفة مما

الشباب العربي والاعترا ب الثقافى -دراسة فى العلاقة والتأثر-

يسهم فى اتساع الفجوة بين وبين الأجيال وهو ما يعرف حالياً "بصراع الأجيال". تحدث كل هذه التغيرات بمساعدة التكنولوجيات الحديثة للإعلام والاتصال التى أصبحت لا تعترف بالحدود ولا بالزمان، ولا تعباً بانتقاداتنا وتفنيدها لسلبياتها، لما لها من دور كبير فى التأثير على القيم السائدة فى المجتمعات، قد تجعل شبابنا يذوب فى ثقافة الآخر، وما يحدث فى الأماكن العمومية والجامعات من اختلاط وعلاقات غرامية وسلوكيات عدوانية لخير دليل على ذلك ومن هنا تكمن التحديات، فى آليات المحافظة على هويتنا الثقافية الإسلامية فى ظروف كهذه.

قائمة المصادر والمراجع:

2. السعيد بومعيزة. (2006). أثر وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب، مذكرة تخرج لنيل شهادة دكتوراه. الجزائر: كلية العلوم السياسية والإعلام.
3. الطاهر أجغيم. (2010). عولمة تكنولوجيا الإعلام والاتصال والمسألة الثقافية. سلسلة أعمال ملتقى العولمة والهوية الثقافية، (صفحة 143). الجزائر.
4. الطاهر أجغيم. (بلا تاريخ). مرجع سبق ذكره.، (صفحة 152).
5. مصر: مكتبة الشروق الدولية. /المعجم الوسيط. (2004). أنيس، و. إ.
6. بوزيان عبد الغاني. (2010). الشباب الجزائري للبرامج الثقافية التلفزيونية للقناة الأرضية والإشاعات المتحققة منها، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير. الجزائر: جامعة عنابة.
7. حسن عبد الله العايد. (2004). أثر العولمة في الثقافة العربية.، لبنان: دار النهضة العربية.
8. حواس محمود. (2000).، العولمة والثقافة. المجلة الثقافية (49)، صفحة 25.
9. سامية الساعاتي. (2003). الشباب العربي والتغيير الاجتماعي.، مصر: الدار المصرية اللبنانية.
10. سامية قطوس. (2003). عمل الأبناء الشباب وعلاقته بالاتصال مع الآباء في الأسرة، مذكرة تخرج لنيل شهادة الماجستير. الجزائر.
11. سعد جلال. (1996). مشكلات طلبة مرحلة التعليم الثانوي، المجلة الاجتماعية القومية. 7 (3)، صفحة 5.
12. سكينه العابد. (2010). العولمة الثقافية ووسائل الاتصال الجماهيري، سلسلة أعمال ملتقى العولمة والهوية الثقافية.، سلسلة أعمال

الشباب العربي والاعتراب الثقافي -دراسة في العلاقة والتأثير-

- ملتقى العولمة والهوية الثقافية (صفحة 204). الجزائر : مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة.
13. عبد المجيد سيد أحمد منصور، زكريا الشريبي. (2005). الشباب بين صراع الأجيال المعاصر والهدى الإسلامي. مصر: دار الفكر العربي..
14. علاء الدين محمد. (1998). دور الشباب في التنمية. مصر: منشأة المعارف.
15. مجموعة من المؤلفين. (2001). الشباب العربي و رؤى المستقبل. لبنان: مركز دراسات الوحدة العربية.
16. محمد الهواري. (2013). العولمة الثقافية وأثرها على الهوية العربية الإسلامية. مجلة الحكمة للدراسات الاجتماعية (18)، صفحة 167.
17. محمد سيد. (2007). العولمة و الشباب من منظور اجتماعي. مصر: دار الوفاء للنشر و الطباعة.
18. محمد فهمي. (بلا تاريخ). مرجع سبق ذكره.
19. محمد لعقاب. (2012). قضايا ساخنة في الإعلام والإسلام والثقافة. الجزائر: دار هومة..
20. مصطفى فهمي. (1998). سيكولوجية الطفولة و المراهقة. مصر: مكتبة مصر للمطبوعات.
21. معن النقري. (2001). المعلوماتية والمجتمع.. لبنان: المركز الثقافي العربي.
22. هالة كمال. (2005). دور القنوات الفضائية العربية في دعم القيم والقضايا القومية.. لمجلة المصرية لبحوث الرأي العام، صفحة 77.